

التعدد المنهجي في مستوى التنظير

– مقاربات في سوسيولوجيا الهجرة –

La méthodologie mixte au niveau de la théorie

– approches en sociologie d'émigration –

د. بودرمين عبد الفتاح

أستاذ محاضر – ب-

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل

البريد الإلكتروني: fattahsocio@gmail.com

#### ملخص:

التعدد المنهجي في أبسط صوره هو استخدام أكثر من ملاحظ أو أكثر من منهجية ، أو استخدام أكثر من مصدر للبيانات ، أو أكثر من أدوات جمع البيانات ، أو استخدام أكثر من نظرية لتفسير البيانات بعضها أو كلها... وبغض النظر عن استعمال الكم والكيف معا ، واستعمال كم من منهج لتأطير الظاهرة الاجتماعية بكم من منهج ، نحاول من خلال هذه المقال أن نسلط الضوء على التعدد المنهجي أو المنهجية المختلطة في مستوى التنظير لظاهرة الهجرة " سوسيولوجيا الهجرة " ، وذلك من خلال التمهصل مع الظاهرة انطلاقا من الهجرة كفعل – رؤية فيبر –، أو من خلال الهجرة كبنية ."

الكلمات المفتاحية: التعدد المنهجي، الهجرة كفعل، الهجرة كبناء وكنسق

#### Résumé:

La méthodologie mixte consiste d'interpréter une phénomène sociologique a partir d'une tendance contemporaine ;il s'agit de manipuler d'étudier une phénomène a l'aide de plusieurs théories et plusieurs paradigmes ..en va traiter – a l'aide de cette perspective – la sociologie d'immigration :telle que l'approche wébérienne ..L'immigration comme structure...

**Mots clés:** la méthodologie mixte, l'immigration comme un fait, l'immigration comme structure

تمهيد:

تتضارب الآراء حول ضرورة التعدد المنهجي في دراسة الظاهر الاجتماعية المعاصرة، وذلك لتعقدها من جهة – الظواهر – ومن جهة أخرى قد نجد أن هناك تعارضا في المنطلقات الفلسفية لكل من يؤيد هذا الطرح أو يجاربه، ونحن في هذا المقال نتعرض ولو بشكل بسيط إلى تعدد المناهج في مستوى التنظير، أي استعمال كم من نظرية للإحاطة بالظاهرة المدروسة، ولشساعة التعدد المنهجي في كل فروع المنهجية والنظرية، ارتأينا أن نسلط الضوء على التعدد المنهجي في مستوى تعدد النظريات وليس دمجها من خلال هذه الورقة البحثية.

#### أولاً: مفهوم التعدد المنهجي:

يرى البعض أن هناك منهجين رئيسين هما: المنهج الكمي والكيفي، ويندرج تحت كل منهما عدد من المناهج الفرعية، وفي كل الأحوال لا يعد التعدد المنهجي جديداً، إذ أن الكتابات المبكرة عنه في السبعينات، أما العلوم الطبيعية فإن توظيفه فعليا فعليا له تاريخ طويل، فقد بدأت تلك العلوم في استخدام أكثر من منهج في دراستها للظواهر الطبيعية.

"فالتعدد المنهجي في أبسط صوره هو استخدام أكثر من ملاحظ، أو أكثر من منهجية، أو استخدام أكثر من مصدر للبيانات، أو أكثر من أداة من أدوات جمع البيانات، أو استخدام أكثر من نظرية لتفسير البيانات بعضها أو كلها" (بكري، 2007، ص 39)

"تعد المناهج المختلطة فئة من البحث يمزج فيه الباحثون ويدمجون بين تقنيات، مناهج، مقاربات، ومفاهيم البحث الكمي والكيفي داخل دراسة واحدة.

فلسفيا هي "الموجة الثالثة" أو حركة البحث الثالثة، حركة تتجاوز براديجم البحث باقتراح بديل منطقي وتطبيقي، ويستخدم البحث المختلط المنهج البراغماتي والنسق فلسفي، ومنطقه في البحث

يتضمن استخدام الاستقراء (اكتشاف الأنماط)، التحقق من النظريات والفرضيات، الاعتماد على أحسن التفسيرات من أجل فهم النتائج " (بو الفلفل، 2018، 18)

" وتعتبر مناهج البحث المختلط محاولة لشرعنة الاستخدام المتعدد للمقاربات في الإجابة عن أسئلة البحث، إنه شكل من البحث يتسم بالاتساع والإبداع، وليس بشكل البحث المحدود، هو نوع من البحث التعددي والتكاملي، ويقترح أو يدعوا إلى أن يأخذ الباحثون بمقاربة انتقائية في اختيار المنهج وطريقة التفكير في البحث وقيادته " (بو الفلفل، 2018، 18)

" يرى البعض أن التعدد المنهجي هو بحث يتعلق بأساليب مختلطة، إذ اختلف في تعريف الأساليب المختلطة MIXED METHODS RESEARCH وفقا لاختلاف عناصره التي يتم التركيز عليها أو حسب اختلاف موقف المنظر منه، فقد ينظر له من وجهة فلسفية، حيث تكون الافتراضات الفلسفية المتعلقة بحقيقة المعرفة والوصول إليها، وعلاقة الباحث بها في مركز الاهتمام.

كما يمكن تقديمه كمنهجية METHODOLOGY أي عملية بحثية تنطلق من منظور فلسفي واسع وتمتد للتفسير وحتى النشر، وقد ينظر له كأسلوب METHOD له توجه مستقل ينصب الاهتمام على إجراءات جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها " (الزاید، د ت، ص ص 1-3)

وينظر له كتوجه أو مقارنة APPROCH للبحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية والصحية، يقوم فيها الباحث بجمع بيانات كمية ونوعية ودمجها ثم تفسيرها، وذلك بناء على الجمع بين جوانب القوة في كل نوع من البيانات لفهم المشاكل البحثية، والافتراض الأساس لهذا التوجه هو أن دمج الأساليب الكمية والنوعية يوفر فهما أفضل لمشكلة البحث وأستلته من استخدام أحد الأسلوبين منفردا " ( CRESWELL , 2015, p 4 )

وهناك تعريفات مقترحة من طرف كل من CRESWELL, GARETT يتكلمون فيها عن مقارنة للبحث in wich the researcher links ,in some way (e.g.merges ,integrates,connects) both quantitative and qualitative data to provide a unified inderstanding of a research problem

TASHAKKORI و TEDDINE قاما بوصف النوع الموجود في مقارنة تتأسس على المنهجية المختلطة وفقا لثلاثة جوانب selon trois aspects :

- معرفة الانتقائية المنهجية à savoir l'éclectisme méthodologique

- التعددية البراغماتية Pluralisme paradigmatique

- وضع النقاط على كل تنوع وتعدد في كل مستويات البحث.

CASTELLI et CRESCENTINI, ) "l'accent sur la diversité à tous les niveaux de la recherche (p20

ولدى CRESWELL "التعدد المنهجي هو بروتوكول بحث يتأسس على دمج مسلمات فلسفية ومنهجيات البحث الكمية باعتبارها منهج، هو الدمج بين المعطيات والبيانات الكمية والكيفية في دراسة أو في سلسلة دراسات، فرضيته الأساسية sa prémisses هي استعمال معطيات مختلفة تساعدنا على فهم أحسن للظاهرة " (creswell and Clark, 2018)

" التعدد المنهجي يعني التنوع في الطرق والأساليب المنهجية التي تلبي حاجات التعدد والتنوع في الموضوعات البحثية، والتعدد والتنوع في متطلبات البحث من البيانات والأدوات وأساليب التنظيم والتحليل التعدد المنهجي توظيف مناهج متعددة، كل منها في الغرض الذي يحققه، دون أن ننسى أن ثمة مناهج أخرى يستعمل منه ما يلزم في حينه، ويعبر ذلك عن فكرة تعدد المناهج أو المنهجية المتعددة، التي تسمح للباحث بأن يجمع بين أكثر من منهج حسب الدور الذي يؤديه كل منها في صورة تكاملية تآلفية " (ملاوي، 2016، ص 180)

ثانيا: التعدد المنهجي على مستوى النظريات:

" تحظى العلوم الاجتماعية بوجود عدد كبير من النظريات ، وهي تناولت من حيث التركيز على المواضيع التي تناولتها ، سواء ركزت على الشخصية أو على تفسير المجتمع أو على ظاهرة اجتماعية

بعينها...وعلى الرغم من وجود الكم الضخم من النظريات ، فإنه ليس هناك نظرية تحظى بقبول كافة المتخصصين في أي فرع من فروع العلوم الاجتماعية ، ذلك أن كل نظرية تنظر إلى الظاهرة من منظور مختلف خاص بها، وعليه فإن اللجوء إلى نظرية بعينها لتفسير ظاهرة اجتماعية ما من شأنه أن يحد من نظرة الباحث إلى الظاهرة المدروسة بشكل كبير، ويقلل من مصداقية تفسيره لتلك الظاهرة " ( بكري، 2009، ص 39)

" فاللجوء إلى أكثر من نظرية أو أكثر من منظور في دراسة الظاهرة أو المشكلة الاجتماعية له فائدة كبيرة ، فتعدد النظريات يسمح للباحث أو الباحثين باختيار البيانات والمعلومات المجموعة عن الدراسة عن طريق أكثر من نظرية ، مما يجعل التفسير المتوصل إليه أقرب إلى الدقة والصواب ، لأن توظيف أكثر من نظرية في دراسة الظاهرة نفسها يمنع الباحث من التحيز لنظرية بعينها ، وتجاهل نظريات أخرى ، وفضلا عن ذلك فإن استخدام أكثر من نظرية لتفسير الظاهرة أو المشكلة محل الدراسة يجعل الدراسة والتحليل أكثر عمقا " ( بكري، 2009، ص 39) .

" التعدد المنهجي أو المنهجية المختلطة تعد طرائق للتعبير أو التفسير، خصوصا في المراحل النهائية في تحليل البيانات، ويسمح التعدد المنهجي في معرفة تفسير النظريات للمشكلة محل البحث في موضوع وتتبع مراحل دراسته " ( cisel , 2018, P-P3-4. ) .

"يوجد اختلاف بين الدمج النظري والتعدد النظري؛ فالدمج النظري يتم فيه مزج أجزاء متفرقة من نظريات مختلفة eclectic model، اصطلاح عليه في دراسة الخدمة الاجتماعية بالنموذج الانتقائي وذلك لتفسير سلوك العملاء، وتقديم العلاج الإكلينيكي لهم، وقد تعرض هذا الدمج – وليس التعدد-لانتقادات حادة بسبب صهره لنظريات مختلفة، وفي أحيان كثيرة متضاربة في أساسها الفلسفي في إطار واحد...

أما تعدد النظريات فهو الذي يسمح بتفسير الظاهرة والنظر إليها من زوايا مختلفة مستخدما نظريات مستقلة فلسفيا – ليست بالضرورة متنافسة فيما بينها – وذلك بغرض السماح للباحثين

برؤية البدائل المتاحة لهم نظريا، لتفسير البيانات من زوايا مختلفة، ومنع التحيز لنظرية بعينها أو إليها على أنها تمثل الواقع أو تفسره ...

فهناك من ينظر نظرة انتقاد للتعدد المنهجي في مستوى التنظير على أنه لا يؤدي إلى رسم صورة متكاملة عن الظاهرة محل الدراسة، ومنهم من ينظر إلى أن دراسة ظاهرة معينة لا بد له من هذه الرؤية – لأنه هو الأساس – في رسم صورة متعددة المستويات للحقيقة، لأن الحقيقة في واقع أمرها قد يكون لها عدة مستويات متعددة وأوجه مختلفة، وليست بالضرورة صورة متسقة متكاملة الأجزاء" (بكري، 2009، ص 41)

### ثالثا: النظريات المفسرة للهجرة – التعدد المنهجي في مستوى التنظير –

3-1 النظرية الاقتصادية: فالنظريات الاقتصادية المتعلقة بالهجرة عديدة، ونتطرق إلى تفسير مسألة الهجرة بالعوامل المرتبطة بالوظيفة والعمل، ويعد "أرنست رافانستين" صاحب أول نظرية في تفسير الهجرة، من خلال وصفه لقوانين الهجرة، وذلك في المقال الذي قدمه بعنوان "قوانين الهجرة" حيث خلص من خلل تحليله لبيانات تعداد السكان إلى أن الهجرة محكومة بعوامل الدفع والجذب، حيث تدفع الظروف الاقتصادية السيئة والفقراء الأفراد إلى ترك أوطانهم والانتقال إلى مناطق أكثر جاذبية" (رافانستين، د ت، ص ص 167-227)

" أما النظرية النيوكلاسيكية، فقد فسرت الهجرة في إطار علاقة العرض والطلب للسوق مع وضع علاقة متبادلة بين تطور هجرة العمل والتطور الاقتصادي" (ميشيل، 1969، ص ص 138-148)

حيث تدفع الفوارق في الأجور إلى انتقال المهاجرين من المناطق ذات الأجور المتدنية نحو المناطق ذات الأجور المرتفعة، وذلك بهدف زيادة الدخل.

3-2 نظرية الطرد والجذب: "تعد نظرية الطرد والجذب من أبرز النظريات المفسرة للهجرة، وقد حددت الأسباب الأساسية للهجرة في عاملين: هما الاتصال والعلاقات القائمة بين البلدان المرسل والمستقبل للمهاجرين... وتتمثل عوامل الطرد البسيطة في الفقر والاضطهاد والعزلة الاجتماعية،

أما عوامل الطرد القوية فتتجلى في المجاعات والحروب والكوارث الطبيعية ، كما يمكن أن تكون عوامل الطرد بنائية كالنمو السكاني السريع وأثره على الغذاء والموارد الأخرى ، والعامل السكاني يكون أكثر وضوحا في الدول الفقيرة التي تناضل فعلا على مواجهة مشكلات غذاء كبرى ، ويتمثل العامل البنائي الأخر بالفاهية بين الشمال والجنوب ، أو الحرب كعا من عوامل الطرد بين الأمم أو داخلها " ( جليبي، 1984، ص ص 261-264 )

أما عوامل الجذب فتتمثل في الزيادة المضطردة على العمل في بعض القطاعات والمهن، فأسواق العمل تستورد مهاجرين في ظل عدم مقدرة العرض على تلبية الطلب على نوعية معينة من العمال، وهناك أيضا عوامل الشيخوخة التي تزحف على الدول الصناعية، وبالذات في أوروبا مما يؤدي إلى انكماش قوة العمل وزيادة أعداد الخارجين من سوق العمل.

إضافة إلى العديد من النظريات التي لا يسعنا أن نذكرها كاملة في ثنايا هذا البحث، ومنها المقاربة الجغرافية، وغيرها من النظريات التي عنت بموضوع الهجرة.

#### رابعاً: إسقاط التعدد المنهجي في مستوى التنظير – سوسيوولوجيا الهجرة –

#### 1-4 الهجرة من المنظور الكلياني " الهوليزم " – الهجرة من منظور بنائي:

المنظور البنائي الوظيفي ينظر إلى المجتمع كبناء به أنساق، وكل نسق يقوم بوظيفته للمحافظة على توازن المجتمع ككل. كالنسق السياسي والتربوي والديني، والثقافي القيمي المعياري، فإذا حدث اختلال في بين الوسائل والبدائل المتاحة لتحقيق أهداف محددة لأي نسق من هذه الأنساق، فالمجتمع يحدث له أنواع من الاضطرابات، مما يؤدي إلى إضعاف التماسك والتساند الاجتماعيين، وبالتالي إلى ظهور " التي تعمل على إعادة توازن نسق أو homéostasie انزلاقات، مما يحدث عدم وجود " الأوميوستازية مجموعة من الأنساق، ولنأخذ مثلا النسق السياسي ، فإذا غاب الخطاب السياسي المقرون بحنكة ودربة واتصال حقيقي ودائم للمسؤولين السياسيين ، وتطبيق فعلي للبرامج السياسية التي تتغنى بها الأحزاب والسلطة الحاكمة ، فإنه لوجود لأذان صاغية تتكلم ولا

تنفذ ، ويسمع المواطن جعجعة ولا يرى طحيننا . وجراء الخطاب السياسي غير المحين، واتساع رقعة المطلبية الجديدة القديمة لا يجد الشباب بدا من التفكير في الهجرة، سواء أكانت شرعية أو غير شرعية.

ولنأخذ مثلا مقاربة " إميل دوركهايم " للانتحار من خلال طرحه لثلاثة أنواع من الانتحار: الانتحار الأناني، الانتحار الإيثاري " الغيري "، الانتحار الأنومي " المعياري " – على الرغم من أن البعض لا يحبذ هذه المقاربة – لرؤيته للهجرة غير الشرعية على أنها ليست انتحارا بعينه، وإنما هي مطلب أساسي لتحقيق الذات بالرغم من ارتياد قوارب الموت.

#### 1-1-4 الهجرة غير الشرعية " السرية " كانتحار أناني:

ربما يحدث هذا السلوك للهجرة السرية من البلد الأصلي إلى البلد المستقبل بسبب نزعة فردية متطرفة ، وذلك من خلال انفصال الفرد عن الثقافة التي يعيش فيها ، يحدث هذا النوع من الهجرة كسلوك أناني في غياب التماسك الاجتماعي والتضامن الاجتماعي داخل المجتمع ، إذ لا يجد المهاجر غير الشرعي – السري – من يسانده عندما تحل به مشكلة ما كأزمة السكن ، الفقر ، الاضطهاد ، العزلة الاجتماعية كعوامل طرد من البلد الأصلي ، ولوجود عوامل جذب في البلد المستقبل : كتوفر مشروعات العمل ، الرفاه الاقتصادي ، ارتفاع مستوى الدخل ، وبذلك تصبح الهجرة غير الشرعية أو السرية من الاستراتيجيات المتفردة والحيوية التي يحددها الفرد لنفسه ، ومن المبالغة لرؤية الفرد لنفسه تغيب لديه صورة الآخر " المجتمع " لديه، " فيعمد إلى الانتحار كنوع من التدمير الذاتي ، أو إجراء مقصود وإرادي بقتل الشخص لنفسه وتدمير ذاته " ( السكري، 2000، ص 521 ) " مما يؤدي إلى انعزال الفرد عن مجتمعه ، وتمركزه حول نفسه مع غياب القدرة على إيجاد مبررات مقنعة وأسباب قوية لوجوده واستمراره في الوجود " ( عياش، د ت، ص 41)



من هذا كله يعمد الفرد إلى نزوعية مفرطة للسلوكيات الفردية المنعقدة عن كماشة الضوابط الاجتماعية التي يراها معرقله لتحقيق أهدافه وطموحاته، فيعمد إلى الهجرة غير الشرعية جراء فراغ عاطفي أو فشل في الحصول على منصب عمل - وهو الأساس - في مقاربتنا لرؤية الهجرة غير الشرعية كفعل أناني غارقا في الذاتية بإحساس الفرد بأنه لا توجد سلطة أخرى خارج نطاقه الفردي، فيصير فردية لعزلة حتمية تؤثر في حياته، فيؤدي به بالنهاية إلى الهجرة غير الشرعية.

#### 2-1-4 الهجرة كفعل انتحاري غيري:

إذا أحس الفرد في مجتمع يتسم بنزعة شديدة من التماسك الاجتماعي والتكامل القوي الذي يمتص النزعة الفردية - وهو عكس نظرة الانتحار الأناني - يحس الفرد أنه لا مكانة له في المجتمع ، وأن هذا المجتمع المتكامل لا يعترف بمكانته - تراجع القيم الفردية - وبالتالي يقوم هذا الفرد بالهجرة غير الشرعية كانتحار إيثاري غيري نظير معطيات ثقافية تساند معطيات ثقافية واجتماعية معتادة ضمن فكر جماعاتي وليس فردي ، فعند فقدان وظيفة ، أو حتى عدم الحصول عليها تجعل من الفرد يفكر جديا بالقيام بالهجرة السرية لبلد يمجّد ثقافة الفردنة والنزعات الفردية التي لا تحبذ العيش ضمن منظومة قيم متعارف عليها مسبقا كنوع من التماسك واللمة الاجتماعيين .

#### 3-1-4 الهجرة كفعل انتحاري فوضوي:

"يسمى الانتحار اللاقيمي أو اللامعياري الذي ينتج من الخلل الذي يعم النظم الاجتماعية السائدة نتيجة التغيرات الاجتماعية المفاجئة والسريعة التي تهتز لها الأعراف والقيم والمعايير الاجتماعية السائدة " (وازري، 2012، ص 41) فالخلل الموجود مثلا في النسق الاقتصادي ووجود هوة سحيقة بين أفراد المجتمع ، بين طبقات تعيش ثراء فاحشا ، وأخرى في فقر مدقع نتيجة تغول أصحاب رأس المال ، والوتيرة السريعة التي غيرت من الفلسفة السياسية والاقتصادية للبلد ، كلها تسهم في تأثر الفرد بهكذا منظومات قيمية معيارية مفتقدة في بلده الأصلي وموجودة بشكل قوي في البلد المستقبل ، تجعل من الفرد الهجرة غير الشرعية ، بل تجسيدها على أرض الواقع .

فعند وجود خلل أيضا في المنظومة القيمية والأخلاقية – التي تعمل المؤسسات الدينية والتربوية بداهة على صقلها وتحيينها مع الواقع المعيش – تجعل من الفرد لا يدرك الخطأ من الصواب، ولا الخير من الشر، الافتقاد للضوابط القيمية، وعدم التحكم في السلوك، يقوم الفرد من كل هذه الأمور مجتمعة بالهجرة كفعل فوضوي أو لا معياري.

#### 2-4 الهجرة كنسق:

يقوم الفرد بالهجرة سواء شرعية أو غير شرعية – في هذه الجزئية " المقاربة كنسق-ضمن إطار جماعاتي أو جماعة صغيرة تولدت من المجتمع الأم لغياب أفكار وطروحات كنوع من النوستالجية -ترسم حياة السلف مثلا في مخيال الجماعات الإسلامية la nostalgie au passé الماضية وغياب هكذا ممارسات وسلوكيات، تجعل من الفرد ينفر من مجتمعه الأم إلى نسق جماعاتي في شكل جماعة صغيرة من الأفراد يتعاملون فيما بينهم وفق منظومة أفكار معدة مسبقا ليحصل بها التميظ والنمذجة على نفس الشاكلة.

إشكالية وجود جماعة صغيرة – بل جماعات – ضمن مجتمع كبير يندرج ضمن مفهوم " النانوايدوننتي " أو الجماعات المتناهية في الصغر – قبل أن تكون جماعات كبيرة نظير انشطارات Nano identité الهوية التي حدث لها جراء انقساماتها المتكررة-تعد كهويات جديدة لا تقبل بمنظومة القيم والأعراف السائدة، لتأسس على نقيضها منظومة قيم كمخيال يتماهى معها من يرونها مغيبة في الواقع المعيش، لكن بمعزل عن المجتمع الأم.

إذا لم استطع هذه الجماعة الصغيرة إيجاد توليفة وحبكة تعايشية مع المجتمع الأم فإنها تضطر إلى الهجرة في شكل نسق وبشكل جماعي إلى خارج البلاد كهجرة خارجية – وليست داخلية – لوجود نوع من التآلف والتوافق بين منظومة أفكارها والبلد المستقبل – هجرة الشباب الجزائري في شكل جماعي لأفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي لمحاربة الروس مثلا – هذا النوع من الهجرة لا يصب في خانة تحقيق مطالب فردية صرفة غارقة في الأنانية وتحقيق الذات كمطلب

أساسي في مدرج ماسلوا للحاجات ، وإنما يغذي هذا النوع من الهجرة قناعات جماعية معيارية وربما عقدية من منظور – من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم –

لكن قبل أن تتأسس الجماعة كنواة أساسية لإيجاد هذا النسق الجديد، يصطدم الفرد ببوابات النسق الاعتبارية – غير المرئية – هذه البوابات هي صمامات الأمان لكل جماعة كي تقبل أو تنبذ أي فرد يريد التماهي مع منظومة أفكارها وقيمها، خوفا من اختراق تنظيمي محتمل. إذا تماهى الفرد مع هذه المنظومة من الأفكار – النسق الجديد أو الجماعة – تمظهرها وتمثلا، فإنه بالنهاية يستطيع أن يلج هذا النسق أو الجماعة كي يتكيف ويتفاعل مع أفرادها القدامى.

إذا تناغم مع هكذا سلوكيات وقناعات نستطيع ان نقول أن هذه الجماعة استوعبت واستقطبت وجمعت ، وقامت بتغذية راجعة لإيجابية تحميه من العزوف عنها أو استبدالها بجماعة أخرى غير هذه الجماعة التي انضوى فيها. يبني النسق – الجماعة – جدر سميقة مع الآخر – المجتمع – وذلك بإعطاء أفرادها جرعات من منظومة أفكارها – تعدها هذه الجماعة غير موجودة في الواقع – ومن هذه النقطة بالذات يستبدل الفرد المجتمع بجماعة أخرى كنوع من الحياة الاستهامية ، لكن إذا استطاعت إقناعه بتصوراتها للحياة وللمجتمع كمشروع ، وذلك بإيهامه أن هكذا تصورات غير موجودة في الواقع – المجتمع –

تهجر الجماعة – ولتكن جماعة إسلامية مثلا-هروبا بقناعاتها كنسق من الأفعال والسلوكيات والتصورات والرمزية والإشارات من مجتمع يراها – الجماعة-منافسة له في الأنساق الأخرى (السياسي، التربوي، الديني، الثقافي، ثنائية التربوي /الثقافي كثنائية تضاد، صهر التربوي بالثقافي (... نظير اضطرهاد أو تصفية... هي هجرة بمنظومة أفكار من بنية مجتمع مقدس للتماسك، متجذر في تقديس الأعراف والتقاليد، إلى بنية أخرى تقبل التعايش مع هكذا أفكار وممارسات.

#### 3-4-منظور سوسيولوجيا الفعل في الهجرة: الهجرة كفعل وليس كنسق أو بنية:

#### 1-3-4 مقارنة ماكس فيبر للهجرة وفق أنماط الفعل الثلاثة:

- فعل الهجرة كفعل عقلاني: قد يصطدم الفرد بعوائق تحول دون تحقيق طموحاته، فيعتمد إلى الهجرة غير الشرعية أو السرية كنوع من الانتحار الأناني أو الغيري أو الأنومي كما رأينا سابقا في منظور "الهوليزم" أو المنظور الكلياني، توجد مقاربات عدة تبدأ بدراسة الظاهرة الاجتماعية من الفعل لا البنية أو النسق. وباصطدام الفرد مع هذه العوائق يجد نفسه أمام خيارين، إما الصبر والتصبر لإيجاد منصب عمل يتوافق مع اهتماماته وتخصصه – الذي اختاره بدهاءة بربطه بسوق الشغل وفق العقلانية الفيبيرية

إذا اعتمدنا على رؤية الخيارات المدرسية التي تقر بضرورة La rationalité webernienne

ربط التخصص الدراسي بسوق الشغل – في بلده الأم، وإما يهاجر إلى بلد فيه تحقيق لرغباته وطموحاته.

وبين "نوستالجيا" المكوث في البلد الأم كنوع من رد الجميل، وقلّة مناصب العمل والمحسوبية، وتردي مستويات الدخل إلى مستويات واطئة، وبين بلد يحتضن الآلاف من الشباب – خصوصا ذوي الكفاءات-من جنوب المتوسط ليرتادوه ويطمحوا في تحقيق طموحاتهم ذات أسقف مطلبية غير متناهية، وربما لتحقيق مطلبية اقتصادية صرفه.

تظهر عقلانية "فيبر" في إيجاد المواءمة والتوليفة بين الطموح والتخصص دون النظر إلى الجانب الأخلاقي في مسألة رد الجميل للبلد الأصلي الذي يتغنى به الخطاب السياسي بكلمات مفعمة بالوطنية رغم علمهم بأنه توجد هوة سحيقة بين قناعات الأجيال والخطاب السياسي غير المحين. المنظور الفيبيري في شقه العقلاني في فعل الهجرة له أثره القوي في كوادرات البلد المرسل في الحصول على منصب عمل قارودائم ، ومستوى معيشي مرموق ، وبنية تحتية قوية ، عقلاني فيبر تتخطى إلى غربة البلد المستقبل لليد العاملة كنوع من العقلانية التي تسائر متطلبات سوق الشغل ، والتي كانت في السابق يد عاملة غير مدربة ..

2-3-4 الهجرة كفعل عاطفي: ينظر الشباب المعاصروحتى موجة شباب الثمانينيات

إلى بلاد الغرب " أوروبا " نظرة الجنة فوق الأرض؛ طبيعة وبني 80 La vague des années تحتية، وحتى عرفا خالي من العيوب، أشقر، عيون زرقاء ، فهذه النظرة الحاملة والتي لازال صيتها ذائعا إلى اليوم نظير تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمعيارية في البلدان المرسله " الأصلية " فنجد الفرد يهاجر إلى أوروبا بشكل عاطفي مبني عل تمثلات وصور نمطية عن أوروبا تؤدي فب النهاية به إلى البحث عن شريك حياة وفق ذلك التصور المتخيل في مخياله .

الهجرة كفعل عاطفي يصطدم مع جدر ثقافية ومعيارية وقيمية غير متطابقة لما موجود في البلد الأصلي، فتجد الفرد يهاجر ليعيش نوعا من الاعتراب الثقافي المعياري الذي يدخله في صراع بين ماهو موجود من قيم، ومعتقدات ومعايير ومنظومات سلوكية ومواقف، وبين ما نشأ عليه في بلده الأصلي.

الاعتراب الثقافي في فعل الهجرة العاطفي يضرب بشكل كتلي في نفسية الفرد نظير تحقيقه لمتطلبات اقتصادية غير موجودة في بلاده الأصلية – الأم – وفقدانه لمتطلبات معيارية عقدية في البلد المستقبل.

3-3-4 فعل الهجرة كفعل تقليدي: توجد العديد من المناطق في الجزائر مثلا يهاجر شبابها إلى أوروبا بشكل تقليدي، أي الهجرة نحو بلد هاجر إليه مهاجرون سابقون إلى رقعة جغرافية محددة في أوروبا، فنجد الكثير من سكان " تهرت " ولاية تيارت، وكذا دائرة " بوقادير بولاية الشلف " قاموا بهجرات إلى ألمانيا في السنوات الماضية، فأصبح فعل الهجرة هنا – في تقديري الخاص – فعلا تقليديا خالصا، نظير السماع بأنه توجد عائلات وجدت في ألمانيا مستوى معيشي مرموق، ودخل مرتفع، فهاجر الأفراد وفق هذا المنظور الاقتصادي الصرف.

لكن إذا نظرنا إلى استقبال البلد المستقبل للمهاجرين في السابق (ثمانينيات القرن الماضي مثلا) ليس بالمثل في وقتنا الحاضر، فأصبح ينظر إلى المهاجر الكفاء المدرب، والقادر على الحصول على منصب عمل يتوافق وسوق العمل المعاصر، فهجرة الفرد هنا تكون وفق منظور تقليدي، أما نظرة

الدولة المستقبلية للمهاجرين فليست تقليدية – في وقتنا الراهن-إنما هي نظرة عقلانية تصب في خانة المنفعة، أي الانتفاع من فئة المهاجرين ذوي التخصصات المطلوبة في سوق العمل.

### خاتمة:

ظاهرة الهجرة سواء أكانت شرعية أو غير شرعية لا يسع دراستها من منظور واحد، بل من منظورات إن لم نقل بارايديغمات، تنظر إلى الظاهرة من عدة زوايا؛ فالتعدد المنهجي أو المنهجية المختلطة "على مستواها التنظيري تقفز على المنظورات الكلاسيكية التي ترى في الظاهرة محل البحث أنها أحادية الرؤية " فتحتت شكلا مغايرا غير الشكل الأحادي الرؤية، رؤية تتعدد الطروحات والرؤى "

والمظنورات لظاهرة الهجرة، ونحن إزاء تطرقنا الى ظاهرة الهجرة غير الشرعية، لا ندعي الوصول الى الحقيقة، حقيقة هذه الظاهرة وتداخل مسبباتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحقوقية، إنما حاولنا كشف النقاب عن هذه الظاهرة من المنظور الكلياني " الهوليزم "، إضافة إلى المنظور الجزئي " الميكرو سوسيولوجي " ظنا منا أن التقيد بهكذا تصورات كلاسيكية يحجب رؤية الحقيقة في شموليتها – دون تفكيكها " قبل الحفر في تضاريس مكنوناتها "؛ تفكيك يعيد بناء الرؤية والشكل النهائي كحقيقة مكتملة.

### قائمة المراجع:

بوالفلل، ابراهيم. (2018). البحث الاجتماعي بين المقاربتين الكمية والكيفية ومناهج البحث المختلطة. حوليات جامعة الجزائر 1. العدد 32-الجزء الأول.

بكري، عبد الحميد. (2007). التعدد المنهجي، أنواعه ومدى ملائحته للعلوم الاجتماعية. مقال مجلة الأدب-جامعة تلمسان، العدد 12.

جلبي، عبد الرزاق. (1984). علم اجتماع السكان، دار النهضة العربية. القاهرة.

رافانستين، آرنست. (د ت). قوانين الهجرة. صحيفة الإحصاء، لندن، ص-ص(167-227).

الزايد، زينب عبد الله. (د ت). حلقة نقاش حول: بحث الأساليب المختلطة، المفهوم والتصميم، مركز التميز البحثي في تطوير تعليم العلوم والرياضيات. جامعة الملك سعود. المملكة العربية السعودية.

السكري، أحمد شفيق. (2000). قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

عياش، أحمد. (د ت). الانتحار نماذج حية لمسائل لم تحسم، ط1، دار الفارابي، لبنان.

ملاوي، فتحي حسن. (2016). ط2. منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، وم أ.

ميشيل، تورادو. (1969). هجرة العمل والبطالة المدنية في الدول الأقل تقدماً، المراجعة الاقتصادية الأمريكية.

وازري، طاوس. (2012). ظاهرة الانتحار بين التفسير الاجتماعي والنفسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، جامعة ورقلة، الجزائر.

- CRESWELL.J (2015). A CONCISE INTRODUCTION TO MIXED METHODS RESARCH. TOUSAND OAKS.CA : SAGE.

- cresswell and plano Clark, 2011, dans : olivier Bégin – caoute, les méthodes mixtes : le milleur des deux mondes. UNIVERSITÉ DU QUÉBEC À MONTRÉAL.2011.dans [olivierbegincaouette.yolasite.com/](http://olivierbegincaouette.yolasite.com/) : 10-09-2018.

- LUCIANA CASTELLI, ALBERTO CRESCENTINI, METHODES MIXTES DE RECHERCHE EN EDUCATION, (Institut de recherche et de documentation pédagogique(IRDP), Neuchâtel, Suisse). P20

- atthieu cisel, méthodes mixtes et analyse des traces d'interaction : embryons de typologie, P-P (3-4). Dans : [hubblelearn.imag.fr/wp-content/uploads/2015/02/rapport-MCisel-Hubble-L2.3.pdf](http://hubblelearn.imag.fr/wp-content/uploads/2015/02/rapport-MCisel-Hubble-L2.3.pdf). le 10-09-2018